مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (6) العدد (6) 2022
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (6) No. (6) 2022

الفن العربي الإسلامي

أ.محمود علي إبراهيم*

(تاريخ الإيداع 8/22 /2022. قُبِل للنشر في 10/5 /2022)

□ ملخّص □

يعدّ الفن الإسلامي المرآة العاكسة لنشاط المسلمين، الذين تأثروا بعد الفتوحات بفنون البلاد التي فتحوها فامتزجت حضارتهم الفنية بفنون هذه البلاد، حيث خلف المسلمون عبر العصور آثاراً معمارية بديعة وزخارف رائعة ظهرت على جميع ما خلفوه لنا من أدوات ومعادن وزجاج وغيرها.

إن أول ما يشد الانتباه في الفن الإسلامي وحدته الأساسية من حيث التصور العام لعالم الأشكال والمساحات والأحجام، أي للمكونات المادية لهذا الفن، فحيثما نتجه نعجب لتعدد الأشكال والتقنيات والخامات المستعملة، التي تتسم بالوحدة الجمالية المسيطرة على كل الإنجازات الفنية، وهذا الإحساس بالوحدة من خصائص الفن الإسلامي، إضافة إلى خاصية التكرار والتنوع والتجديد، وهذا الأخير يعدّ خاصية فريدة عرفها التصوير الإسلامي بما تقدم يمكن القول إن الإبداع الفني الإسلامي هو محاولة الفنان أن يعبر تعبيراً جمالياً في إطار عقيدته، حيث خلف لنا هذا الأخير متحفا كبيراً، قاعاته ممتدة من اليابان والصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، لينتشر في إفريقيا جنوباً وأوروبا شمالاً، فهو موجود حيث استقرت الجماعات الإسلامية التي نقلت معها اقتباساً من هذا الفن ممزوجة بروح الإسلام.

كلمات مفتاحية: الفن الإسلامي، الزخرفة الإسلامية، الأرابيسك، العمارة الإسلامية، الزخرفة.

* قائم بالأعمال، جامعة طرطوس، كلية السياحة.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (6) العدد (6) 2022
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (6) No. (6) 2022

Islamic Arabic Art

***Mahmoud Ibrahem**

(Received 22/8 /2022. Accepted 5/10/2022)

□ ABSTRACT□

The Islamic art is the mirror of the Muslim artist's activity who were influenced after the conquests by the arts of the conquered countries so that it was created a mixture of the artistic civilizations

Muslims have left over the periods fames architectural ruins and perfect ornamental patterns witch appear on their works such as utensils metals glasses and others

The first thing witch draws attention in the Islamic art is its essential cohesion concerning the general conception of the world of forms areas and volumes that it to say those of material constituent of this art in all sides we are amaze by the diversity of the used forms and techniques having the special features of esthetic cohesion dominant the whole artistic production besides this cohesion is a part of the features of the Islamic art in addition to repletion diversity and abstraction this one of the social feature known by the Islamic perception

According to the above we can say that Islamic art creation is an initiative if the artist to express himself throughout the esthetic way within the framework of this religion bat the east to Atlantic Ocean by the west from Africa by the South to Europe by the North so it exists where settled the Islamic groups who transported this art mixed witch the Islamic spirit.

Keywords: Islamic Art, Islamic Ornament, Arabesque, Islamic Architecture, Ornamentation.

*Academic Assistant,College of Tourism, Tartous University

مقدمة

تاريخ الفن العربي الإسلامي

يعد الفن أحد أهم روافد المعرفة الإنسانية التي تخضع لتأثير الظروف الاجتماعية والتاريخية التي تمر بها المجتمعات البشرية ، وهو يرتبط بمختلف نشاطات الإنسان الفكرية والوجدانية التي ترفد الفن بمضامين وموضوعات تعبر بدورها عن آمال ومعتقدات الناس ، وللدين علاقة أصيلة ومهمة بالفن تمتد جذورها إلى عمق الوجود الإنساني ، وقد توطدت هذه العلاقة عبر مراحل التاريخ فكان لكل مجتمع فنونه المرتبطة برؤاه ومعتقداته الدينية ، لذلك فقد تنوعت الفنون والإبداعات من عصر لآخر ومن بيئة لأخرى ، وقد ظلت العلاقة بين الفن والدين محوراً للتفاعل والتطور حتى ظهور الديانات السماوية والتي أفرزت صنوفاً فنية وأشكالاً ورموزاً وهي بمثابة تمثلات جمالية للأفكار والعقائد النابعة من الدين.

من هنا نرى أن الفن الإسلامي يعدّ نتاجاً إبداعياً للفكر الجمالي المنبثق عن العقيدة الروحية الإسلامية؛ إذ تمت ترجمته إلى منظومات زخرفية ذات أبعاد جمالية خاصة وذات دلالة حضارية ومعرفية جعلته ذا خصوصية وتفرد، وأكدت علو مكانته بين الفنون التي أنتجتها الحضارات البشرية.

ولقد سعى الفنانون المسلمون إلى توظيف الإبداعات الزخرفية في مختلف نتاج حضارتهم، من الكتب والأواني الخزفية الصغرى إلى الأوابد المعمارية الكبيرة؛ حيث تزيَّنت جدران المساجد والأضرحة المقدسة في كل أرجاء العالم الإسلامي بالأعمال الزخرفية المنفذة بمختلف أنواع الأساليب والأشكال والمواد المستعملة لإنجاز ذلك. تعريفات الفن الإسلامي قليلة جداً، ويعدّ ما ذهب إليه سيد قطب من أهم ما قيل في هذا الصدد.

يمكننا هنا إجمال عدة تعريفات للفن الإسلامي منها:

هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود.

هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان.

هو الفن الذي يجمع بين الجمال والحق.[1]

منهجية البحث

مشكلة البحث: جرى اختيار هذا البحث الخاص بالزخرفة في الفن الإسلامي نظراً لأهمية هذا الموضوع، وموقع الفن الإسلامي المهم جداً عالمياً.

أهداف البحث: اشتهر الفنان المسلم بعبقريته وسعة اطلاعه على كافة الفنون الأخرى، حيث إنه استقى من هذه الفنون واستفاد منها، وبالمقابل فقد استفاد الفنانون الآخرون من عبقرية الفنانين المسلمين وسعة خيالهم الفني. وسنتناول أيضاً تأثير وتأثر الفن الإسلامي مع بقية الفنون.

[1] *الزخارف الإسلامية*، داليا الشرقاوي، رسالة ماجستير، القاهرة 2000م، ص 65.

أهمية البحث: لعب الدين الإسلامي وانتشاره الواسع في جميع أقطار الأرض، دوراً مهماً في دخول الفن الإسلامي الشهرة والعالمية، وقد فرض احترامه بما احتواه من العناصر الفنية والزخرفية النباتية والحيوانية والهندسية الرائعة الجمال.

خصائص الفن الإسلامي:

1: يقوم الفن الإسلامي على أساس من عقيدة التوحيد، وعلى تصور شامل للإنسان والكون والحياة.

2: الفن في التصور الإسلامي وسيلة لا غاية، والوسيلة تتشرف بشرف الغاية التي تؤدي إليها.

3: الفن الإسلامي لقاء كامل يجمع بين إبداع الموهبة ونتاج العبقرية، وبين دقة الصنعة ومهارة التنفيذ وحسن الإخراج.

4: الفن الإسلامي هو فن متجانس، رغم أنه يحيط بلادًا واسعة مختلفة في مزاياها؛ لهذا التجانس عدة أسباب: أولها، لجميع هذه البلاد دين واحد– الدين الإسلامي. ثانيها، أسلوب الحكم في هذه البلاد واحد رجل واحد يقف على سدة الحكم، وكذلك أسلوب الحياة متشابه.
كذلك يجب إضافة التقاء المسلمين من كل أنحاء العالم بعضهم ببعض في موسم الحج عند الكعبة المشرفة في مكة المكرمة، أسهم هذا اللقاء في تبادل الأفكار والأساليب لتقوية العوامل المشتركة والمتفق عليها – من الناحية الحضارية والفنية.

يعتمد الفن الإسلامي في أساسه على فن القطع والأشياء المستعملة. هذه القطع تم صنعها وإنتاجها من مواد بسيطة مع الأخذ بعين الاعتبار وجهة نظر ومفهوم العقيدة الإسلامية، التي تنادي بالتواضع. وعندما حاول المسلمون الإبداع في أعمالهم الفنية في الفن الإسلامي طعّموا النحاس والنسيج بخيوط الذهب والفضة، وزخرفوا أدوات الخزف والزجاج بالبريق المعدني وحفروا على الخشب والعاج والعظم وعلى الحجر الأخضر والأحجار الكريمة، قاموا بوضع الأحجار الكريمة على قطع معدنية وزخرفتها. وكذلك على الآنية الفخارية والزجاج[1] .

خصائص الفن الإسلامي وضوابطه

يتميز الفن الإسلامي بخصائص متنوعة تخرجه عن دائرة الفنون المستهلكة بين المجتمعات البشرية وتجعله ذا طابع خاص ومتميز، ومن المعلوم أنه لم تكن للعرب أساليب فنية ناضجة قبل الإسلام إلا في أطراف الجزيرة العربية، إلا أنها لم تكن في مستوى اعتبارها فناً متكاملاً، ومع مجيء الإسلام ودخول الشعوب الأجنبية بدأ العرب باقتباس الفنون التي سبقتهم لانعدام التقاليد الفنية لديهم، كما هو الحال لدى جميع الأمم والشعوب فطبعوها بطابع إسلامي خاص، بحيث غدا يحمل اسمه الخاص (الفن الإسلامي). ويؤكد أغلب الباحثين أن الفن الإسلامي من أوسع الفنون انتشاراً وأطولها عمراً. و يمكن إجمال خصائصه فيما يأتي:

–1 انه ذو شخصية واحدة، رغم تعدد مراكزه، وتباعد أقطاره وظهور التأثيرات المحلية فيه، ويرجع الباحثون إلى أن سبب وحدة الشخصية للفن الإسلامي يعود إلى عاملين: العامل الجغرافي و العامل التاريخي.

–2 أنه فن ديني، بمعنى أنه تأثر بروح الإسلام وانصبت أنواعه المختلفة على المواضيع الدينية في الدرجة الأولى: من بناء المساجد والمدارس والتكايا ومن زخرفة الآيات القرآنية.

---

[1] سلمان، عبد اللطيف. *محاضرة الفن الإسلامي*، ص 24.

-3 أنه فن كثير الزخرفة: وملء القطعة الفنية بالزخارف عنصر رئيس في الفن الإسلامي ، نجد ذلك على الجدران والمنابر والسقوف كما نجده في المنسوجات والبسط والزجاجيات. "

-4 تظهر كذلك في الفن الإسلامي صور البساطة والابتعاد عن الترف الزائد، لأن الفن الإسلامي إنما ينطلق من قاعدة العقيدة التي هي اللبنة الأساسية في البناء ، لذلك فإن المسلم إنما يعتقد بوحدانية الله تعالى وقدرته الكلية على الأشياء.

-5أهمل الفن الإسلامي النحت بكل أنواعه وأشكاله، وأخفى كذلك الأشكال المرسومة، وذلك لأن نصوص الأحاديث دعت إلى عدم مضاهاة خلق الله تعالى. "

6- أهمل الفن الإسلامي رسم الأشكال الإنسانية والحيوانية وخاصة في أماكن العبادة، وليس معنى ذلك أن المسلمين لم يعرفوها إطلاقا فقد أثبتت رسوم" قصر الحير" وتماثيله (وهو في متحف دمشق) وأشعار بعض الشعراء أن رسم الإنسان والحيوان كان معروفاً.

هذه أهم خصائص الفن الإسلامي، الذي يصل بين السماء والأرض وبين الإنسان والكائنات الأخرى، وما بين الإنسان الفرد والإنسانية التي تعمر هذا الكوكب. أما فيما يخص الضوابط التي هي الإطار العام الذي يتحرك ضمنه الفن الإسلامي ويحدد رسائله وأهدافه باعتباره وظيفة رسالية يسعى أصحابه والقائمون عليه من خلالها إلى خدمة هذا الدين فيمكن حصرها فيما يأتي:

أ- " ميدان الفن الإسلامي ليس هو " الضروريات" ولا " الحاجيات" بل مجال " ما يطلق عليه اسم الكماليات."

ب-الفن في التصور الإسلامي " غاية "والوسيلة تتشرف بشرف الغاية التي تؤدي إليها، ولذا فليس الفن للفن، وإنما الفن في خدمة الحق والفضيلة والعدالة... وفي سبيل الخير والجمال.

ج- وللفن في التصور الإسلامي "غاية" " هدف" إذ كل أمر يخلو من ذلك فهو عبث وباطل، والفن الإسلامي فوق العبث والباطل، فحياة الإنسان ووقته أثمن من أن يكون طعمه للعبث الذي لا طائل تحته "ومن هذا المنطلق فإن الفن أي الفن الإسلامي يأخذ حكم الغاية والمقصد الذي يوصل إليه، فقد ينتقل من إطار الإباحة والندب إلى إطار الوجوب، كما قد يخرج عن هذه الأحكام إلى حكم الكراهة وذلك إذا خرج عن إطاره العام المحدد بضوابط الشرع والهادف إلى خدمة الدين.

د- " إن الغاية التي يهدف الفن الإسلامي إلى تحقيقها، هي إيصال الجمال إلى حس المشاهد" المتلقي" وهي ارتقاء به نحو الأسمى والأعلى و الأجمل.

هـ- الفن الإسلامي- بعد ذلك -لقاء كامل بين إبداع الموهبة ونتاج العبقرية وبين دقة الصنعة ومهارة التنفيذ

الزخرفة في الفن الإسلامي

لغوياً: الزخرفة: التزيين والتجميل.

اصطلاحاً: " الزخرفة: فن التزيين والتحليل. هدفها تكوين عناصر فنية تعبيرية وتجريدية "

جماليات الزخرفة الإسلامية:

تمثل الزخرفة الإسلامية توجهاً فنياً وفكرياً للسمو إلى المعاني الروحية، وحركة وجدانية ومعرفية ترتقي بالمتذوق إلى التأمل والتأويل، وإدراك المعاني العميقة الكامنة وراء الأشكال المجردة التي تعبر عن عالم جمالي خاص يتجاوز حدود الصور والأشكال الواقعية المحسوسة، ويكتسب طابعاً روحياً خاصاً من خلال الابتعاد عن محاكاة الواقع؛ وذلك عن طريق تبسيط الأشكال وتجريدها من خصائصها المادية الظاهرية، والارتقاء بها إلى مستوى المثال الجمالي السامي المنزه عن النفعية والمحاكاة، وهو المثال الجمالي المطلق.

كما تتميز الزخرفة الإسلامية بمبدأ التكرار والامتداد اللانهائي للأشكال التي ترتبط فيما بينها بعلاقات فنية متوازية، كما أنها تتحرر من قيود المكانية التي تحدد أبعاد العمل الفني، فللزخارف الإسلامية قابلية الامتداد في جميع الاتجاهات، من دون إخلال بقيم وتوازنات العمل الفني المتكامل. وفي كل الأحوال فإن الزخارف الإسلامية تظل تعمل على مستوى واحد هو مستوى السطح، أي البعدين الأساسيين من دون الحاجة إلى الإيهام بالعمق أو البعد الثالث، مما يعطي الأشكال والزخارف سمة التسطيح والمواجهة؛ حيث تنتشر الأشكال أمام نظر المتلقي الذي يبدأ بدخول عالم الجمالية الزخرفية، الروحية، التأملية، التي تمثل نظاماً متكاملاً من الأشكال والعناصر والعلاقات والألوان المؤلفة، وفق أنظمة وبناءات مميزة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع رئيسة هي:

1- الزخرفة الهندسية: يستخدم الفنان المسلم أشكالاً هندسية مكونة من المثلثات والمربعات والدوائر والمضلعات الثلاثية والرباعية والخماسية وغيرها، والتي تشبه خلايا النحل والأشكال النجمية المسماة بالأطباق النجمية، والمستقيمات والخطوط المنحنية، وتستخدم هذه الأشكال في مساحات محددة وفق حسابات دقيقة.

2- الزخرفة النباتية: تعد الزخارف النباتية من أهم أنواع الزخارف في الفن الإسلامي، وقوامها الزهور والأغصان والأشكال الكأسية والأوراق والأوراد المأخوذة عن الطبيعة، ولكنها محورة إلى أشكال مجردة هي عبارة عن زخارف تتشابك وتتناظر، وتخضع لظاهرة النمو والامتداد، وتخضع للتناسق والتناسب والاتزان في تكويناتها الفنية.

3- الزخرفة الكتابية: وهي الزخارف المكونة من الكتابات والحروف العربية المشكلة بأنواع الخط العربي المختلفة، مثل (الكوفي والثلث والنسخ والديواني والرقعة وغيرها)؛ والتي تمتاز بالليونة والاستدارة في رسم الحروف مما يسهل تشكيلها وفق البنى الزخرفية والفنية المتناسقة بشكل تتجلى فيه سمات الجمال والإبداع والاتزان. كما في الأشكال: (1،2،3).

شكل (1) زخرفة هندسية

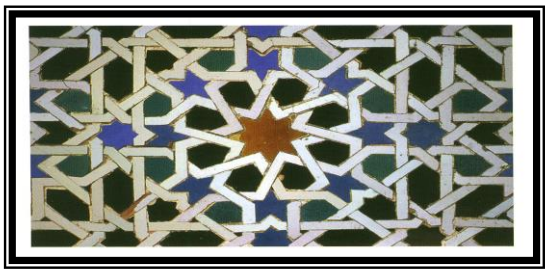

الزخارف الإسلامية رسالة ماجستير داليا الشرقاوي القاهرة 2000 ص 66

شكل (2) زخرفة نباتية

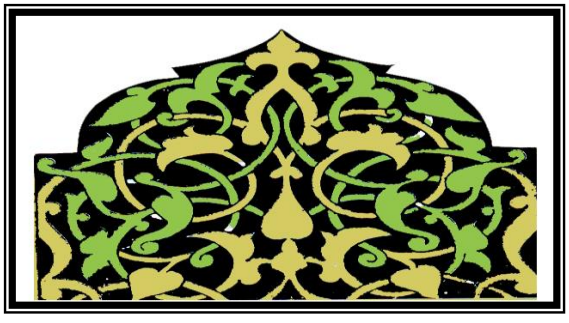

الزخارف الإسلامية رسالة ماجستير داليا الشرقاوي، المرجع السابق ص 67

شكل (3) زخارف كتابية

الر

– إن الغاية التي يهدف الفن الإسلامي إلى تحقيقها هي إيصال الجمال إلى حسّ المشاهد.

– الفنان في الفكر الغربي إنسان غير عادي، فهو ملهم أو ممسوس.

– أول كتاب عربي ظهرت فيه المنمنمات هو كتاب كليلة ودمنة.

– لم يبلغ المصور في صدر الإسلام المرتبة الرفيعة التي بلغها غيره من المفكرين والأدباء، فلم يعن المؤرخون بتدوين أخبارهم عنايتهم بغيرهم من الشعراء والأدباء والعلماء والمفكرين.

– ارتبطت المنمنمات في أوج تطورها بالأدب العربي وخصوصاً فن المقامات، وذلك لميزاتها الزاخرة بالمتعة التصويرية والخيال.

– احتلّ الخطاطون مكانة أعلى بكثير مما كان للمصورين، حتى كان الأمراء والكبار في الدولة يسعون لنيل الحظوة الدينية بكتابة القرآن.

– اقتبس المسلمون عناصر زخرفتهم من الكتابة العربية، أو من الخطوط الهندسية، أو من عناصر نباتية وحيوانية.

– اعتمدت الزخرفة خاصة على الخط الكوفي بسبب خطوطه المستقيمة.

– أكثر الزخارف النباتية الشائعة هي المعروفة باسم: الرقش العربي (الأرابيسك).

– ترجع معظم رسوم الحيوان في الزخارف الإسلامية إلى الفن الساساني.

– استعمل المسلمون الخزف في صناعة البلاطات الزخرفية الجميلة لكسوة الجدران في البيوت والمساجد والمدارس وغيرها من المباني.

كان الخزافون المسلمون هم أول من اخترع البريق المعدني في زخرفة الخزف.

أمثلة لبعض التأثيرات الإسلامية في فنون أوروبا:[1]

لما كانت الفنون الجميلة عند المسلمين تشمل فنون العمارة، والخط والنقش والنحت والتصوير، مما يضيق به بحثنا؛ فسنكتفي بأمثلة للتأثيرات الإسلامية في ميادين الخط والزخرفة والنحت والتصوير، على أن كلاً من هذه التأثيرات يحتاج إلى بحث خاص به، لاسيما إذا أدركنا أن نجاح المسلمين في كافة الفنون التي انطلقت فيها عبقريتهم لم يكن له مثيل في العصور الوسطى، لدرجة أن أوروبا ظلت نحو ألف سنة تنظر إلى الفنون الإسلامية كأنها أعجوبة من الأعاجيب؛ بل يرجع الفضل في الإبقاء على هذا التراث الجميل إلى افتتان المسيحيين من الملوك والأمراء ورجال الدين بجمال تلك التحف الإسلامية، واستخدامها فيما يعتزون به من مخلفات دينية، فوجد الكثير من هذه التحف طريقه إلى الكنائس والقصور، حيث استقر هناك في حرز أمين بعيداً عن عبث العابثين.

الخط:

يعدّ فن الخط من أهم الميادين الفنية التي تجلت فيها عبقرية الفنان المسلم أجلى صورة، فقد ابتكر ذهنه الخلاق طرزاً شتى للكتابة، لم يستوح فيها فناً من فنون الأمم السابقة عليه ولا استلهم عنصرا من عناصر الزخرفة التي كانت معروفة للدول التي خالطها أو أخضعها لسلطانه، بل ابتدع هذه الطرز فأتقن الإبداع وابتكرها فأجاد وأحسن الابتكار، وأطلق العنان لخياله فلم يخذله خياله الخصب.

وليس ثمة فن استخدم الخط في الزخرفة بقدر ما استخدمه الفن الإسلامي، ذلك أن حروف الخط العربي أصلح من غيرها لهذا الغرض، بما فيها من استقامة وانبساط وتقويس فيسهل وصل الخطوط العمودية والأفقية فيه بالرسوم الزخرفية الأخرى وصلاً يتجلى فيه الاتزان والإبداع والجمال وقد أعجب به الغربيون وقلدوه، ونقلوا بعض عباراته نقلاً صادقاً دون أن يعرفوا ما تحمله من المعاني، ولم يمنعهم جهلهم هذا من أن يتخذوا من هذه العبارات أداة لزخرفة مصنوعاتهم. ومن الأدلة القديمة على معرفتهم شكله وجهلهم قراءته هو ذلك الدينار الموجود في المتحف البريطاني وكان قد أمر بسكه الملك أوفا الذي كان يحكم مملكة مرسية MERCIA بالجزائر البريطانية في العهد الأنجلوسكسوني، ويحمل على أحد وجهيه كتابة كوفية نصها (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) وعلى الوجه الآخر (عبارة لاتينية) نصها (Offa Rex)وحولها كتابة عربية يظهر فيها تاريخ القطعة الأصلية (157 هـ) كما نجد على حافة نفس الدينار عبارة (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) والمعروف أن هذه هي العبارة التي كانت تنقش على العملة الإسلامية منذ عصر عبد الملك ابن مروان، أول من ضرب النقود الإسلامية الخالصة، ولم يأت بعد هذه العملة نظير لها على مثالها ولكنها في الوقت نفسه توقفنا على مدى انتشار العملة التي أخرجتها دور السكة الإسلامية

الزخرفة

عرفت الفنون التي سبقت الإسلام ضروباً كثيرة من الرسوم الهندسية، ولكن هذه الرسوم لم يكن لها شأن خطير في تلك الفنون، بينما امتازت الزخرفة الإسلامية بتلك التراكيب الهندسية ذات الأشكال النجمية المتعددة الأضلاع على

[1]بهنسي، عفيف، *جمالية الفن العربي*، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، الكويت 1979.

التحف الخشبية والنحاسية والصفحات الأولى المذهبة في المصاحف والكتب وفي زخارف السقوف، وقد عني الأستاذ برجوا G. BOURGOIN العالم الفرنسي بدراسة هذه الزخارف وتحليلها؛ ويتجلى في دراسته الطريفة إن براعة المسلمين في الزخارف الهندسية لم يكن أساسها الشعور والموهبة الطبيعية فحسب، بل كانت تقوم على علم وافر بأصول الهندسة العلمية.

أما العنصر النباتي في الزخرفة الإسلامية فقد تأثر كثيراً بانصراف المسلمين عن استيحاء الطبيعة وتقليدها، فاستخدموا الجذع والورق اللذين يبدو عليهما مسحة هندسية وتحرير عن الطبيعة مع التكرار والتقابل والتناظر، كما يظهر لنا في فن الأرابيسك؛ وقد يرجع هذا إلى نفور المسلمين عن تقليد الخالق أو عدم وفرة النباتات والأزهار اليانعة بالنسبة إلى الأحوال الجوية التي تسود اغلب البلاد الإسلامية كما يعتقد بعض العلماء.

وعندما تجدد اهتمام الصناع الأوروبيين بالشرق في القرن 15 م مدفوعين بنجاح المسلمين في إنتاج التحف الفنية الفاخرة التي أصبحت من مقتضيات الأبهة والعظمة في عصر النهضة الأوروبية، استطاعوا أن يدرسوا الأساليب الإسلامية دراسة عميقة وأن يصلحوا ويزيدوا من أساليبهم الفنية الخاصة، فدرسوا بإمعان قوانين الزخرفة عند المسلمين وبدأوا يطبقون هذه القوانين بروح جديدة في تحف أوروبية خالصة. وقام بدراسة هذه الرسوم والزخارف الشرقية كثير من الشخصيات الفنية البارزة، فيروى أن المصور الإيطالي ليوناردوا دافينشي كان يقضي الساعات الطويلة في رسم الزخارف الهندسية الإسلامية، ويتجلى لنا اهتمامه بها في الرسم المأخوذ من رسم أولي من إحدى كراساته .

وفي أوائل القرن السادس عشر، عاد التأثير الشرقي في الرسوم الأوروبية ينتشر بطريقة جديدة هي كتب النماذج التي كانت نتاجا مباشرا لفن الطباعة وبفضل هذه الكتب، استطاع الصناع الذين لم يتيسر لهم الحصول على المصادر الأصلية أن يقفوا على نماذج من دراسات مشاهير الرسامين للزخارف الإسلامية؛ ومن أهم كتب النماذج هذه مؤلف وضعه «فرانسكودي بللجرينو» المصور الرسام الذي عمل في بلاط فرانسوا الأول، وأكثر أمثلته مشتقة اشتقاقا تاما من نماذج إسلامية، وكذلك الكتب التي وضعها بيتر فلوتنر Peter Flotnerوفرجيلسوليد Virgil Solid ومارتنوس بطرسMartinusPetrusوغيرهم وقد برع في التأثير بمهاره المسلمين الفنية فريق من كبار الصناع مثل أو ديريكسOderieusمن مدينة روما وهو الذي رسم الزخرفة الإسلامية على بلاط الرخام المطعم في جزء من هيكل كاندرائية وستنستر سنة 1286م ومثل وليم موريس William Morrisالذي نسج زخارف إسلامية أخرى في المخمل المصنوع سنة 1884.

فقد قدر لهؤلاء أجمعين أن ينعشوا فن الغرب بين حين وحين، وأن يسقوه من ذلك المعين الذي كان يعدّ في نظر الأوربيين منهلا دائماً للغرب أكثر منه إرثاً خلفه الإسلام.

وبهذه المناسبة لا نستطيع أن نغفل ما ذكره Martin Briggs في الفصل الذي عقده عن فن العمارة في كتاب تراث الإسلام؛ إذ يقول: (واسم أرابيسك الذي يطلق على الموضوعات الزخرفية التقليدية التي كانت ترسم بارزة بروزا بسيطا في انجلترا منذ عصر الملكة إليزابيث، نقول إن هذا الاسم يدل على أننا مدينون بهذه الزخارف للعرب في العصور الوسطى.

والحقيقة أن الفنان المسلم هو الذي ابتدع نوعاً من الزخرفة النباتية عرف باسم (أرابيسك (أو (التوريق)؛ وهذا الاسم الأخير يرجح جداً أن يكون الأسبان قد اشتقوا منه كلمتهم «Ataurique» التي يطلقونها على الزخارف النباتية، على أن الأرابيسك الإسلامية تطلق على كل زخرفة هندسية أو كتابية أو حيوانية أو نباتية، من هذا النوع، وإن كانت الأخيرة

هي الغالبة.

زخرفة الزجاج :[1]

زخرفة الأواني الزجاجية:

ابتكر المسلمون طرقاً زخرفية جديدة مثل الرسوم الحيوانية والكتابة الكوفية؛ ولعل من أهم الطرق التي عرفت في العصر الإسلامي طريقة التذهيب وطريقة التنزيل بالميناء.

وقد ازدهرت صناعة البلور في مصر أيام الفاطميين، وقد أشار إلى ذلك الرحالة ناصر خسرو الذي لاحظ ذلك عند زيارته لسوق القناديل بالقرب من جامع عمرو بن العاص.

وقد انتقلت معظم التحف المصنوعة من البلور إلى قصور اوروبا وكنائسها، ومازال بعضها محفوظاً في بعض كنائس ومتاحف اوروبا، مثل كاتدرائية سان ماركو بالبندقية ومتحف نورمبرج بألمانيا وكاتدرائية مدينة فيرمو بإيطاليا.

وكان أمراً طبيعياً أن تزدهر صناعة الزجاج وزخرفته في العصور الإسلامية لتنوع استعمال الأدوات المصنوعة من الزجاج. فقد استعملت الأواني المصنوعة من الزجاج في حفظ العطور، والمواد الطبية.

كما أنتج الفنان المسلم الأواني الزجاجية المزخرفة بالبريق المعدني، وذلك في عصور الحضارة الإسلامية المختلفة. وأنتج نوعاً من الزجاج النقيّ يُعرف باسم البلور الصخري، حيث استعمله خلفاء الدولة الفاطمية، وخلفاء بني أمية بالأندلس، وكذلك بعض حكام إيران، والهند، والدولة العثمانية. وأنواعاً من الزجاج الملون، الذي زخرف بمناظر تصوير رائعة، واستعمل التذهيب في زخرفته، وتعدّ الفترة المملوكية من أهم الفترات التي شهدت ازدهاراً حقيقياً فيما يتعلق بصناعة الزجاج وزخرفته، وبخاصة المشكاوات التي كانت تستعمل لإضاءة المساجد.

وتحتفظ متاحف العالم بأعداد كبيرة من هذه المشكاوات، وأكبر مجموعة من هذه المشكاوات تنسب إلى السلطان حسن بن محمد بن قلاوون، التي أخذت من مدرسته المشهورة.

زخرفة الأخشاب:

ازدهرت زخرفة الأخشاب في العصور الإسلامية، وتنوعت بين الزخارف المحاكية للطبيعة، مثل عناقيد العنب وأوراقه، كما هو الحال في العصر الأموي، وطريقة الحفر المائل والزخارف المحورة عن الطبيعة.

في العصر الفاطمي ازدهرت فنون زخرفة الأخشاب بالمناظر الآدمية؛ حيث حفرت على الأخشاب زخارف تمثل الحياة اليومية، مثل موضوعات الصيد والقنص، والغناء والطرب، وكذلك رسوم الحيوانات والطيور.

يحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بمجموعة كبيرة من الألواح الخشبية، التي تعود إلى العصر الفاطمي، وكانت جزءاً من مباني القصر الفاطمي الغربي، ويحتوي أيضا على مجموعات من المحاريب الخشبية المتنقلة التي عرفت باسم زخرفة «الطبق النجمي»، الذي تكونت عناصره من أشكال نجمية. واستعمل الخط الكوفي المزهر، كعنصر زخرفي على التحف الخشبية.

وتطورت زخرفة الأخشاب في العصر الأيوبي والسلجوقي تطوراً واضحاً؛ حيث استمر الفنان المسلم في زخرفة الأخشاب بواسطة الحشوات المجمعة، واستعمال الخط البشنمي.

---

[1] *الفن الإسلامي*، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط2 ، دمشق ، 1998 ، ص 67.

وفي الفترات المملوكية والتيمورية استطاع الفنان المسلم أن يبدع بالتوسع في استخدام العاج لزخرفة الأخشاب بالتطعيم، وبخاصة في زخارف الأطباق النجمية، أما الحشوات التي كانت تتألف منها النجفة الخشبية فكانت تزخرف بأنواع المراوح النخيلية.

وقد ترك العصران: المملوكي والتيموري عدداً من المنابر والخزائن والأبواب وكراسي المصاحف. وانتشر فن تلوين الأخشاب بالألوان المختلفة.

شهد العصر العثماني ازدهاراً في المشربيات الخشبية من الخشب المخروط الذي استعمل في تغطية واجهات المنازل، ومقصورات المساجد.

ويعدّ العصر العثماني من أكثر عصور الحضارة الإسلامية اهتماماً بصناعة الخشب وزخرفته، ويحتفظ متحف طوبقابي سراي بإستانبول بعدد من الحشوات الخشبية التي تعكس ازدهاراً واضحاً في زخرفة الأخشاب، ودقة متناهية في الأسلوب الصناعي.

كما ازدهرت أيضاً زخرفة الأخشاب في الأندلس ازدهاراً واضحاً، وإن كان ما وصل إلينا من التحف الخشبية الأندلسية قليلاً؛ نظراً لتعرضه للحروب.

زخرفة المعادن :[1]

عكست التحف المعدنية التي وصلت إلينا من الحضارة الإسلامية تأثراً واضحاً بالفنون السابقة على الإسلام، مثل الفنون الساسانية والبيزنطية.

ولعل أبرزها التحفة المعدنية الإبريق الموجودة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، وتنسب إلى الخليفة الأموي مروان بن محمد.

ازدهرت صناعة المعادن وزخرفتها في العصر الفاطمي، والأيوبي والسلجوقي، فقد استعمل الفنان المسلم رسوماً آدمية لموضوعات صيد، ومناظر حيوانات.

كما شهدت المراكز الصناعية ظهور أسلوب التكفيت من خلال إضافة معدن نفيس مثل الذهب والفضة إلى معدن أقل في القيمة، مثل النحاس والبرونز.

وقد شغف الناس في العصر المملوكي باقتناء التحف المعدنية، مثل الأواني والشمعدانات والصواني وكراسي العشاء، والتنانير والصناديق والأبواب والنوافذ.

أما عن العناصر الزخرفية، فقد استعمل الفنان المسلم زخارف هندسية متعددة الأضلاع، وفروعاً نباتية دقيقة وأنواع الأزهار، فضلاً عن ظهور الرنوك، والكتابات النسخية والكوفية. ازدهرت صناعة المعادن في إيران في العصور التيمورية والصفوية، وبخاصة الأسلحة المعدنية والدروع وأغطية الرأس، ويحتفظ متحف طهران بعدد من القطع المعدنية التي تنسب إلى العصور التيمورية والصفوية.

كما وصلنا كثير من التحف المعدنية من عصر دولة المغول في الهند، كما أظهرت المخطوطات الإسلامية المصورة عدداً من التحف المعدنية، وأظهرت الفترة العثمانية اهتماماً واضحاً بصناعة التحف المعدنية وزخرفتها؛ وتشكل مجموعة متحف طوبقابي سراي بإستانبول أكبر مجموعات التحف المعدنية الإسلامية في العالم، وبخاصة ما يتعلق

(1) Abas S A 1995 *Symmetries of Islamic Geometrical Patterns world scientific* publishing Co Singapore, PP 23.

منها بالأسلحة المعدنية، أو الأدوات التي كان يستخدمها سلاطين آل عثمان في حياتهم اليومية.

الكتابة العربية

ذهبت بعض الأبحاث إلى أن تاريخ الكتابة عند العرب يرجع إلى ما قبل الإسلام؛ حيث أخذها العرب من الأنباط الذين كانوا يسكنون على حدود المدينة المنورة.

ويقال إن الخط العربي من عند الله تعالى، ويقال إن الكتابة أصلها من اليمن من حمير.

وهناك نظرية تشير إلى أن ثلاثة من بولان من طي قاموا بوضع هجاء العربية على هجاء السريانية، وعلّموا الكتابة لأهل الأنبار، ومن هؤلاء تعلمها «أهل الحيرة»، ومن ثم انتقلت إلى مكة والطائف قبيل ظهور الإسلام على يدي «بشر بن عبد الملك الكندي».

الأنماط المبكرة:

تكاد تكون المعلومات التي اشتق منها الخط العربي ضئيلة جداً، رغم أن ابن النديم أشار إلى الخط المكي والمدني والبصري والكوفي، وقد بذلت دراسات حول الخطوط وألفت موسوعات في ذلك تحكي تطور الخط العربي.

أنواع الخط الكوفي

1 – الكوفي البسيط:

وهو النوع الذي لا يلحقه التوريق أو التخيل أو التصغير، ومادته كتابية بحتة، وقد شاع في العالم الإسلامي شرقه وغربه في القرون الهجرية الأولى، ومن أمثلته تلك الكتابات الموجودة في قبة الصخرة ببيت المقدس، وبعض الكتابات الموجودة في مقياس النيل في القاهرة، وكذلك جامع أحمد بن طولون.

2 – الكوفي المورق:

وهو النوع الذي تلحقه زخارف تشبه أوراق الأشجار، تنبعث من حروفه القائمة وحروفه المستلقية، وبالأخص الحروف الأخيرة سيقان رفيعة تحمل وريقات نباتية متنوعة الأشكال. ولقد بدأت ظاهرة التوريق بداية القرن الثاني الهجري، على أنها بلغت ازدهارها في منتصف القرن الثالث الهجري.

وقد انتقلت من مصر إلى شرق العالم الإسلامي وغربه، وأقدم كتابة مورقة شرق العالم الإسلامي كتابة في المسجد الجامع في نايين في بلاد فارس، مؤرخة سنة 288هـ.

3 – الكوفي ذو الأرضية النباتية:

وتستقر الكتابة فوق أرضية من سيقان النبات اللولبية وأوراقه، وأشهر أمثلته في إيران، وفي غزنة، وفي مدرسة السلطان حسن بالقاهرة.

4 – الكوفي المضفر (المعقد أو المرابط):[1]

– وهو نوع من الزخارف الكتابية بولغ في تعقيدها إلى حد يصعب فيه تمييز العناصر الخطية من الزخرفة، وقد تضفر حروف الكلمة الواحدة، كما تضفر كلمتان متجاورتان أو أكثر لكي ينشأ من ذلك إطار جميل.

---

[1] *الزخارف الإسلامية*، رسالة ماجستير، داليا الشرقاوي، القاهرة، 2000م، ص 27.

– وأقدم أمثلة في فارس في قلعة رادكان سنة (411هـ). وفي تونس في المسجد الجامع بالقيروان. والمدرسة المراكشية من أكثر المدارس الكتابية إنتاجاً لهذا النوع، وإبداعاً فيه، ومن أشهر أمثلته هناك كتابات الكوفي تزاوج الهندسي الأشكال:

– يمتاز من بقية الخطوط الكوفية بأنه شديد الاستقامة، قائم الزوايا، أساسه هندسي بحت، ولاتزال نشأته غامضة، وأغلب الظن أن فكرة الزخرفة بالطوب المختلف الحرق في العراق وفارس والمعروف (بالهزارياف) هي التي أوحت به، وهو شائع في مساجد إيران، والعراق.

الخط اللـين:

وجد الخط اللين بعدما كانت الخطوط اليابسة هي المنتشرة والخط اللين يأتي نتيجة السرعة في الكتابة، وقد زاد هذا الخط بعد نزول الوحي حيث أصبحت الحاجة إلى الكتابة أكثر من ذي قبل؛ ويسود الاعتقاد بأن المسلمين كانوا يكتبون بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم بالخط اللين، ثم يعيدون كتابته بالخط اليابس.

الخاتمة

اطلعنا من خلال هذا البحث على أهم خصائص الفن الإسلامي وتنوعه وأنواع الزخارف الإسلامية وغناها بالعناصر الزخرفية الرائعة الجمال، والتي تدل على مدى المستوى الرفيع الذي وصل إليه الفنان المسلم وما ابتكره في هذا المجال، وكذلك مدى تأثيره بالفنون الغربية التي نهلت منه العديد من الأساليب في هذا المجال التي كانت محط دهشة وإعجاب لديهم.

المصادر والمراجع

الفن الإسلامي محاضرة د عبد اللطيف سلمان، الجامعة الدولية الخاصة للعلوم والتكنولوجيا

الزخارف الإسلامية رسالة ماجستير داليا الشرقاوي القاهرة 2000

حميد ، عبد عزيز (وآخرون): *الفنون الزخرفية العربية الإسلامية* ، بغداد ، 1982 .

حيدر نجم عبد ، *علم الجمال آفاقه وتطوره* ، ط2 ، بغداد ، 2001

خالد حسين ، *الزخرفة في الفنون الإسلامية* ، مطبعة الوسام ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد : 1983 .

بهنسي عفيف، *جمالية الفن العربي*، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت: 1979.

الفن الإسلامي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط2، دمشق، 1998.

رواية عبد المنعم عباس، القيم الجمالية. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1987.

فارس بشر، سر الزخرفة الإسلامية، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية. القاهرة: 1948.

محمد حسن زكي، فنون الإسلام، دار الفكر العربي، بيروت، ب.ت.

مرزوق محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس مطبعة الغريب، دار الثقافة، بيروت: ب ت.

هويسمان دني، علم الجمال، ط1 ، ترجمة ظافر الحسن، منشورات عويدا بيروت ، 1983.

ديماند م. س، الفنون الإسلامية ترجمة أحمد عيسى، مراجعة أحمد فكري. دار المعارف،1958

سمير الصائغ، الفن الإسلامي، قراءة تأملية في فلسفته و خصائصه الجمالية، ط1، دار المرب، بيروت، لبنان 1988.

صالح أحمد الشامي، الفن الإسلامي التزام و إبداع، دار القلم، ط1، دمشق، 1990.

عبد العزيز كامل، الفن الإسلامي بين الدين و الإبداع ، أعمال الندوة العالمية المنعقدة في استانبول ، نيسان 1983، دار الفكر ، دمشق.

References

Abas S A 1995 Symmetries of Islamic Geometrical Patterns world scientific publishing Co Singapore

Baer E 1998 Islamic Ornament Edinburgh University Press pp160

Brend Babara 1991 Islamic Art Bitish Museum Press Great Britain

Burckhardt Titus 1967 Perrnnial Values in Islamic Art Studies in Comprative Religion World Wisdom

Critchlow Keith 1976 Islamic Patternes An analytical and cosmological approach Thames and Hudson London

Hossen Nasr Syyede 1987 Islamic Art and Spirittualit State University of New York Press Albany

Hossen Nasr Syyede 1968 Science Civilization Islamic History Campridge University Press

Jones F Bedford 1856 The Grammer of Ornament Day and Son London

Jeanan Shafiq Architectural Elements in Islamic Ornamentation New Vision in Contemporary Islamic Art Jordan August 2015 PP11